

## المحاضرة السابعة: الاتجاه الثقافي (سيمولوجيا الثقافة)

يرتبط هذا الاتجاه بمجموعة من الباحثين السوفييات ( المعروفين بجماعة موسكو- تارتو ، (Ouspenski)، وأوسبنسكي(Ivanov) ) التي كان يمثلها كل من: إيفانوف (Youri Lotman) ، وغيرهم ويعد يوري لوتمان(Lotman)، ولوتمان(lekomcev)ولوكموتسيف من أهم الشكلايين الروس الذين اهتموا بسيميوطيقا الثقافة، علاوة على عنايته (Lotman) بموسكو، ومن (Tartu) ببنية النص الفني، خاصة أنه كان عضوا مهما في مدرسة تارتو أهم كتبه: (سيمياء الكون) ، و(انفجار الثقافة) و(بنية النص الفني)...وكذا الباحثين الإيطاليين اللذين اهتمتا كثيرا ( Rossi Landi ) وروسي لاندي (U.Eco) منهم أمبرطو إيكو بالظواهر الثقافية، باعتبارها موضوعات تواصلية وأنساقا دلالية تتضمن عدة أنساق ( لغات طبيعية واصطناعية وفنونا وديانات وطقوسا وغير ذلك) وبالتالي فسلوك الإنسان -حسب . هذا الإتجاه - إلا تواصل داخل ثقافة معينة هي التي تعطيه دلالاته ومعناه

كما استفاد هذا الاتجاه من فلسفة الأشكال الرمزية لكاسيرر التي تقوم رؤية للوجود الإنساني تختلف عن الوجود الحيواني ، إذ اعتبر هذا الأخير الإنسان " حيوان رمزي" على خلاف الكلاسيكيين الذين اعتبروا "الإنسان حيوان ناطق"، كما اعتبر أن اللغة البشرية تمثل التطور المتقدم للإنسان ، فلقد انتقل من طور الطبيعة إلى طور الثقافة أي من طور العلامات إلى طور الرموز القابلة للتعميم ، والعلامات تنتمي إلى عالم الطبيعة ..والرموز تنتمي إلى فضاء المعنى ، وبما أن الإنسان حيوان رامن ، فإن مبدأ الرمزية تساعده على عملية الإبداع الثقافي وإنتاج الأنساق السيميائية الدالة

في حين أن الفروق التي إلتمسها كاسيرر بين الوجودين قد أخذت بعدا فلسفيا محضا :والتي انصبت كلها حول محاولة تحديد خصائص النوع البشري ،والتي انصبت فيمالي

تميز الإنسان عن الحيوان بالقدرة على التجريد -

- تعدد أبعاد حياة الكائن البشري ، وهذا التعدد كفيلا بإنتاج الخاصية الرمزية الرمزية . التي تشكل وسيطا بين الإنسان والعالم الخارجي

. التأكيد على الطابع الرمزي للإنسان من خلال مكونات الثقافة -

باعتبار أن الإنسان يعيش في مجتمع تعدد فيه أوجه الثقافة كالسياسة والدين والفن ...وهذه الأوجه هي التي يتخذ منها الإنسان تجاربه التي يحولها بمرور الزمن إلى نظام رمزي . للتعبير يتحرر به من سلطان الموجودات والمكان

كما كانت ولا زالت الثقافة من بين أهم الموضوعات التي حضيت بإهتمام العلماء من الأنثروبولوجيين (Claude Lévi- Strauss) الأنثبولوجيين ، ويعد كلود ليفي شتروس الأوائل الذين درسوا علاقة الثقافة بالطبيعة، ضمن أنظمة الأبوة وإنتاج الأساطير، وكان هدفه هو البحث عن الانسجام الدلالي لأنظمة الأبوة، مستلهما في ذلك كثيرا من الأعمال الأنثروبولوجية الأنكلوسكسونية وأبحاث المدرسة السوسيولوجية الفرنسية، سيما دراسات

ومن ثم، فقد (Marcel Granet) ومارسيل كراني (Marcel Mauss) مارسيل موس بين كلود ليفي شتروس كيف انتقل الإنسان من الطبيعي نحو المجتمعي والثقافي. كما درس البنيات المعقدة والمركبة لظاهرة الأبوة. كما خصص أربعة أجزاء، من كتابه (الميثولوجيات)، لدراسة الحكايات الأسطورية في ضوء المنهج البنيوي، على غرار الشكلائي الروسي وعلى العموم، لقد انصبت أعمال كلود ليفي (Vladimir Propp) فلاديمير بروب شتروس على رصد الثوابت والمتغيرات والتحويلات في بنية الأساطير

في حين نجد أن جهود الباحثين الروس والمعروفين بجماعة موسكو-تارتو قصد انصبت بشكل كبير في هذا الاتجاه من خلال التطرق إلى العديد من النقاط المتعلقة بالثقافة والتي نجدها بالتحديد في كتاب سيميائية الكون لبيوري لوتمان وقد ركز بيوري لوتمان في كتابه هذا على مجموعة من المفاهيم هي: سيميائية الكون، والمركز والهامش، والفضاء الثلاثي: الداخل والخارج والحدود، والفضاء الجغرافي في مقابل الفضاء الثقافي الكوني، و سيميوطيقا... الثقافة، و سيميائية الترجمة، و سيميائية الحوار

إذا يرى لوتمان عن الفضاء الثقافي الكوني يرفض الانعزال والانغلاق والأحادية، فالكون هو الفضاء الحيوي الملائم لتطور الثقافة واستمرار حياة الذوات و الأغيار، وقد كتب فيرنادسكي: " كل المجموعات الحية تعد مرتبطة حميميا، البعض بالآخر. لا يمكن للواحدة أن توجد بدون الأخريات. هذه العلاقة الثابتة بين مختلف المجموعات وطبقات الحياة، تعد أحد المظاهر التي لا تظمس للآلية الفاعلة داخل القشرة الأرضية، والتي تمظهرت على طول الزمن الجيولوجي "

إذ ترتبط سيميوطيقا الثقافة، عند بيوري لوتمان، بالفضاء الكوني الذي تتدرج فيه، فلكل ثقافة كونها السيميائية الخاص والعام، وقد يكون هذا الفضاء المتخيل واقعيا أو مجردا أو محتملا أو مفترضا أو ممكنا. ومن ثم فسيميوطيقا الفضاء " لها أهمية استثنائية، وربما حاسمة في تمثيل العالم الخاص بثقافة معينة، وترتبط هذه اللوحة للعالم بخصوصيات الفضاء الواقعي، ليكون لثقافة ما تأثير في الحياة، يجب أن تتصور تمثلا عميقا للعالم، نموذجا مكانيا للكون. تعيد النمذجة المكانية بناء الشكل المكاني للعالم الواقعي. غير أن الصور المكانية " . يمكن أن تستعمل بصور مختلفة

ولكن بالرغم من أن هذا الكون يتسم باللاتجانس أي بالتعددية والاختلاف وعدم التماثل والتوازي بمعنى أن هذا الكون يتضمن لغات وأنساقا ثقافية مختلفة، تترابط فيما بينها، وتتعدد بنية ودلالة ووظيفة وبالتالي يشتمل هذا الكون على تجارب سيميائية مختلفة وبنيات لغوية متعددة إلا أن هناك ترابط وأواصر جامعة بين هذه اللغات، وخير دليل على هذا الترابط ما تقوم به الترجمة من نقل للمعاني والتجارب السيميائية من لغة إلى أخرى، ويعد بيوري لوتمان من الرواد الأوائل الذين أسسوا سيميائية الترجمة من خلال التوقف عند مبدأ اللاتجانس. ومن المعروف أن الترجمة فعل ثقافي، بواسطته تتفاعل الثقافات وتتواصل وتتواصل، وتعد الترجمة أيضا أساس الفعل الثقافي، وأساس سيميائية الكون

وعليه، " فبنية سيمياء الكون تعد لاتناظرية و يجد اللاتناظر تعبيراً له في اتجاهات الترجمة الداخلية التي تجعل كثافة سيمياء الكون قابلة للاختراق. تعد الترجمة آلية للوعي الأولي. إن فعل التعبير عن مصطلح داخل لغة مغايرة للغة الأصل يعد سبيلاً للوصول لفهم هذا المصطلح، ومادامت اللغات المختلفة لسيمياء الكون تعد لامتناظرة سيميوطيقياً، بمعنى أنها خالية من التطابق الدلالي المتبادل، فإن كلية سيمياء الكون يمكن أن تعتبر بمثابة مولداً "للأخبار"

ويعني هذا كله أن الترجمة خير دليل على ثراء سيمياء الكون؛ لأنها تعبر عن عمليات ثقافية، مثل: التواصل والمثاقفة، والتبليغ، والتفاعل الثقافي، ومبدأ الاختلاف، وتبادل المعلومات والأخبار، وقد كانت نقطة انطلاق هذه الجماعة (موسكو- تارتو) في التمييز بين منظورين للثقافة: الثقافة من منظور داخلي، أي من منظور ذاتها، وهو المنظور الذي يمثله حامل هذه الثقافة ومستعملها، ثم الثقافة من منظور خارجي، أي من منظور النظام العلمي الذي يصفها

في المنظور الأول نجد الثقافة تتعارض مع كل نشاط متباين لها أو متعارض معها، إذ تعتبره "غير ثقافي" والمعيار الذي يحدد هذا التعارض هو نمط الثقافة المعطاة ذاتها: فكل ما ينطوي داخل المجال المغلق لهذه الثقافة يعد ثقافياً، وكل ما يخرج عن هذا المجال هو غير ثقافي، وانطلاقاً من هذا المنظور الداخلي تبدو الثقافة قائمة بذاتها ولا تحتاج إلى ما يقابلها (أي اللا-ثقافة) فهي نظام والباقي فوضى

أما المنظور الثاني فيعد "الثقافة" و"اللا-ثقافة" مجالين يحدد كل منهما الآخر ويحتاج إليه: فالثقافة تخلق اللا-ثقافة وتستوعبها باستمرار. وبهذا فإن لكل نمط من الثقافة ما يقابله في اللا-ثقافة، وفي هذا الصدد فقد عبرت جماعة تارتو عن فكرة رائدة مفادها أن القرن العشرين بعد أن استهلك احتياطات التوسع المكاني للثقافة، اخترع مشكل "العقل الباطني" أي اللاشعور، فكل نظام لها نمطه الخاص من "الفوضى" بيد أن هذه الفوضى، إذا نظر إليها من منظور خارجي تظهر باعتبارها مجالاً لتنظيم مغاير أما إذا نظر إليها من منظور داخلي فهي عبارة عن "لا تنظيم"، ويفهم من كل هذا أن كل ثقافة هي ثقافة في ذاتها – ولا ثقافة بالنسبة لغيرها

بالإضافة إلى الاتجاه الروسي المتمثل في جماعة موسكو – تارتو نجد اتجاه آخر إهتم بالظواهر الثقافية سمي الاتجاه الإيطالي الذي كان من أبرز عناصره روسي لاندي "و" أمبرطو إيكو "و" إذ يرى هذا الأخير أن الثقافة لا تنشأ إلا حينما تتوفر الشروط الثلاثة التالية:

...حينما يسند كائن مفكر وظيفة جديدة للشيء الطبيعي □

حينما يسمي ذلك الشيء باعتباره يستخدم في شيء ما، ولا يشترط أبداً قول هذه التسمية □ بصوت مرتفع كاملاً يشترط فيها أن تقال للغير

□ حينما نتعرف على ذلك الشيء باعتباره شيئاً يستجيب لوظيفة معينة، وباعتباره ذا تسمية "محددة، ولا يشترط استعماله مرة ثانية، وإنما يكفي مجرد التعرف عليه

مفهوم العلامة عند هذا الاتجاه : ففي الوقت الذي أهمل فيه دسوسير وكثير من علماء اللغة المرجع بسبب أن ذلك لا يلامس استعمال الفرد للغة بصورة مباشرة من جهة ، كما قد لايفيد في دراسة اللغة ، فإن أصحاب هذا الاتجاه يرون أن العلامة تتكون من وحدة ثلاثية المبنى : الدال – المدلول – والمرجع

إن أصحاب مدرسة "تارتو" وأصحاب الاتجاه الإيطالي قد شكلوا بحق اتجاها سيميولوجيا خاص بالثقافة ، حمل على عاتقه دراسة الكثير من المظاهر الثقافية دراسة سيميولوجية ، وأهم . هذه المظاهر النصوص ، الصورة والإشهار ومختلف الفنون